بسم الله الرحمن الرحيم

«كُنْ جَمِيلًا تَرَ الْوُجُودَ جَمِيلًا» ٣٠ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٤٧هـ

اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاسْلُكُوا سُبُلَ الْهُدَىٰ، وَتَجَنَّبُوا مَسَالِكَ الْغَفْلَةِ وَالرَّدَىٰ، وَاعْمُرُوا الْقُلُوبَ بِالتَّقْوَىٰ، فَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ.

عِبَادَ اللهِ: عَلَيْكُمْ بِالْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ هَنَاءَةِ الْعَيْشِ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ أَحَدٌ بِعَيْشٍ، وَلَا طَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ مِنْهُ الِاسْتِرْسَالُ فِيهِ، وَعَدَمُ الِاسْتِعْدَادِ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ، فَمَنْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يُكَلَّفْ بِإِزَالَتِهِ. اهـ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتْحِ» أَيْضًا: قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا وَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ، وَتَمَامُ ذَلِكَ: أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التِّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ، فَمَنِ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ؛ لِأَنَّ الْفَرَاغَ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ، وَالصِّحَّةُ يَعْقُبُهَا السَّقَمُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَمُ كَمَا قِيلَ:

يَسُرُّ الْفَتَىٰ طُولُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا ... فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

يَرُدُّ الْفَتَىٰ بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ الْكُبْرَىٰ»: لَمَّا أَرَادَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُسَافِرَ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ عَرَضَ لَهُ مُنَجِّمٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تُسَافِرْ، فَإِنَّ الْقَمَرَ فِي الْعَقْرَبِ، فَإِنَّك إنْ سَافَرْت وَالْقَمَرُ فِي الْعَقْرَبِ - يَعْنِي فِي مَنْزِلَةِ الْعَقْرَبِ - هُزِمَ أَصْحَابُك، أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بَلْ نُسَافِرُ ثِقَةً بِاَللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَىٰ اللهِ وَتَكْذِيبًا لَك، فَسَافَرَ فَبُورِكَ لَهُ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ حَتَّىٰ قَتَلَ عَامَّةَ الْخَوَارِجِ. اهـ

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَوَائِدِ»: وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْإِضَاعَاتِ إِضَاعَتَانِ، هُمَا أَصْلُ كُلِّ إِضَاعَةٍ: إِضَاعَةُ الْقَلْبِ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ، فَإِضَاعَةُ الْقَلْبِ مِنْ إِيثَارِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ، فَاجْتَمَعَ الْفَسَادُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَطُولِ الْأَمَلِ، وَالصَّلَاحُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهُدَىٰ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلِّقَاءِ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: احْذَرُوا الْيَأْسَ وَالْقُنُوطَ وَالتَّشَاؤُمَ؛ فَإِنَّهَا صِفَاتٌ مَقِيتَةٌ، وَسِمَاتٌ سَيِّئَةٌ، تُضْعِفُ الْإِيمَانَ، وَتُغْضِبُ

الرَّحْمَنَ، وَتُورِثُ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ، فَمَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَلَمْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ فِي قَوْلِهِ، عُوقِبَ بِسُوءِ ظَنِّهِ وَلَفْظِهِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ» فَقَالَ لَهُ: «لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ» قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّىٰ تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا». قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: فَأَصْبَحَ الْأَعْرَابِيُّ مَيِّتًا. اهـ

فَيَا دُعَاةَ الْإِسْلَامِ: اجْتَهِدُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ وَأَعَانَكُمْ- فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ، وَاجْتَمِعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَاحْذَرُوا الْيَأْسَ مِنْ هِدَايَةِ النَّاسِ، فَالْأَمَانَةُ عَلَىٰ أَعْنَاقِكُمْ ثَقِيلَةٌ، أَشْفَقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَحَمَّلَكُمُ اللهُ إِيَّاهَا، فَاحْذَرُوا الظُّلْمَ وَالْجَهْلَ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا تَزُولُ الْأَمَانَةُ. وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، فَعَلَيْهِمَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ شَرَّ مَا مُنِيَتْ بِهِ النُّفُوسُ، وَاضْطَرَبَتْ بِهِ الْقُلُوبُ: يَأْسٌ يُمِيتُ الشُّعُورَ، وَقُنُوطٌ تُظْلِمُ بِهِ الدُّنْيَا، وَتَتَحَطَّمُ بِهِ الْآمَالُ، وَتَخْبُو بِهِ الْأَمَانِيُّ، وَتُسَدُّ بِهِ الْمَسَالِكُ، وَتُغْلَقُ بِهِ الْمَنَافِذُ.

لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْيَأْسَ وَالْقُنُوطَ فِي آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ لَهُمَا، وَالتَّنْفِيرِ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، وَرَوْحُ اللهِ أَيْ: رَحْمَتُهُ، وَرَجَاءُ الْفَرَجِ عِنْدَهُ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ الدَّوَامِ خَائِفًا رَاجِيًا، يَخَافُ جَرِيرَةَ ذَنْبِهِ، وَتَبِعَةَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَرْجُو مَعَ ذَلِكَ رَحْمَةَ رَبِّهِ وَعَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، مَقْرُونًا بِالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اللهُ ﷻ أَطْمَعَ عِبَادَهُ فِي رَحْمَتِهِ، وَرَغَّبَهُمْ فِي عَفْوِهِ، وَعَلَّقَ آمَالَهُمْ فِي مَغْفِرَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ

لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». أَيْ: بِقَرِيبِ مِلْئِهَا غُفْرَانًا وَعَفْوًا.

عِبَادَ اللهِ: كُلُّ ذَلِكَ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنْ نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ مِمَّا يَفْتَحُ أَمَامَ الْمَرْءِ أَبْوَابَ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ، وَيَصْرِفُهُ عَنِ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ، وَيُوَجِّهُهُ خَيْرَ وُجْهَةٍ، وَيَسْلُكُ بِهِ أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ، وَيَجْعَلُهُ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ أَيَّامِهِ نَظْرَةَ الْمُتَفَائِلِ الَّذِي يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ وَجَمِيلَ الْعَاقِبَةِ عِنْدَهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: يَجِبُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَىٰ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ - قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ - يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ». قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمُفْهِمِ لِمَا أُشْكِلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ»: اسْتَصْحِبُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَالْآدَابَ الْحَسَنَةَ، الَّتِي يَرْتَجِي الْعَامِلُ لَهَا قَبُولَهَا، وَيُحَقِّقُ ظَنَّهُ بِرَحْمَةِ رَبِّهِ عِنْدَ فِعْلِهَا، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَعِقَابَهُ مَخُوفٌ عَلَىٰ الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ، وَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِغَيْرِ عَمَلٍ غِرَّةٌ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي حَالَةِ الصِّحَّةِ وَالْقُوَّةِ، وَأَمَّا فِي حَالِ حُضُورِ الْمَوْتِ فَلَيْسَ ذَلِكَ وَقْتًا يَقْدِرُ فِيهِ عَلَىٰ اسْتِئْنَافِ غَيْرِ الْفِكْرِ فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ يَغْفِرُهُ، وَأَنَّهُ الْكَرِيمُ الْحَلِيمُ، الْغَفُورُ الشَّكُورُ، الْمُنْعِمُ الرَّحِيمُ، وَيُذَكَّرُ بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ لَعَلَّ ذَلِكَ يَقَعُ بِقَلْبِهِ فَيُحِبَّ اللهَ تَعَالَىٰ، فَيُخْتَمَ لَهُ بِذَلِكَ، فَيَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ مُحِبٌّ لَهُ سُبْحَانَهُ، فَيُحْشَرَ فِي زُمْرَةِ الْمُحِبِّينَ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي زُمْرَةِ الْخَطَّائِينَ.

عِبَادَ اللهِ: حُسْنُ ظَنِّ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ مَقْصُورًا عَلَىٰ حَالَةٍ مَخْصُوصَةٍ، أَوْ حَادِثَةٍ بِعَيْنِهَا، أَوْ زَمَنٍ دُونَ آخَرَ، فَكَمَا يَجِبُ أَنْ يُحْسِنَ الْمَرْءُ ظَنَّهُ بِاللهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ، يَرْجُو عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللهِ مُصَاحِبًا لَهُ فِي كُلِّ مَا يَعْرِضُ لَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ شَدَائِدَ، وَمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ نَوَازِلَ، وَمَا يَغْشَاهُ مِنْ كُرُوبٍ، فَإِذَا ابْتُلِيَ بِدَاءٍ، أَوْ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، أَوْ غَلَبَهُ الدَّيْنُ، أَوْ فَقَدَ حَبِيبًا، وَجَبَ عَلَيْهِ أَلَّا يَيْأَسَ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَأَلَّا يَقْنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَيْقِنَ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلَاءٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا خَيْرًا لَهُ؛ يَرْفَعُ اللهُ بِهِ الدَّرَجَةَ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ شَرًّا أَعْظَمَ مِمَّا ابْتَلَاهُ بِهِ، أَوْ يُعَوِّضُهُ خَيْرًا مِمَّا فَقَدَ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ أَوْ آجِلٍ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ». قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ: مَعْنَاهُ: يَبْتَلِيهِ بِالْمَصَائِبِ لِيُثِيبَهُ عَلَيْهَا. وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ»: الْمَقْصُودُ: الْحَثُّ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ بَعْدَ وُقُوعِهِ، لَا التَّرْغِيبُ فِي طَلَبِهِ لِلنَّهْيِ عَنْهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا أَسْوَأَ حَالَ الَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَى حِينَ تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمُ الْكَوَارِثُ، وَحِينَ تُصِيبُهُمُ الْبَلَايَا، حَيْثُ يَسْكُنُ فِي نُفُوسِهِمْ أَنَّ الْبَلْوَى سَوْفَ يَطُولُ أَمَدُهَا، وَأَنَّهُمْ سَيُشْرِفُونَ بِهَا عَلَى الْهَلَاكِ، وَأَنَّ الشَّدَائِدَ سَتُلَاحِقُهُمْ، وَأَنَّ الْمِحَنَ لَنْ يَنْقَطِعَ نُزُولُهَا بِهِمْ، وَذَلِكَ كُلُّهُ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا مِنْ سَجَايَا الْمُخْبِتِينَ، فَكَمْ بَدَّلَ اللهُ خَوْفَ عِبَادِهِ أَمْنًا، وَفَقْرَهُمْ غِنًى، وَبَأْسَاهُمْ نَعْمَاءَ، وَفَوَاجِعَهُمْ رِفْعَةً وَرَحْمَةً وَغُفْرَانًا.

عِبَادَ اللهِ: مَا أَعْظَمَ ثَوَابَ الْمُبْتَلِينَ إِذَا صَبَرُوا، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ؛ لِأَنَّ الْآدَمِيَّ لَا يَنْفَكُّ غَالِبًا مِنْ أَلَمٍ بِسَبَبِ مَرَضٍ أَوْ هَمٍّ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَاضَ وَالْأَوْجَاعَ وَالْآلَامَ - بَدَنِيَّةً كَانَتْ أَوْ قَلْبِيَّةً - تُكَفِّرُ ذُنُوبَ مَنْ تَقَعُ لَهُ. لَكِنِ الْجُمْهُورُ خَصُّوا ذَلِكَ بِالصَّغَائِرِ، لِلْحَدِيثِ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي هَذِهِ الْبِشَارَةِ فَتْحٌ لِبَابِ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ فِي كَرَمِ اللهِ تَعَالَى، وَجَمِيلِ عَفْوِهِ، وَعَظِيمِ غُفْرَانِهِ، فَالرَّجَاءُ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: الرَّجَاءُ: حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَى بِلَادِ الْمَحْبُوبِ، وَهُوَ اللهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ. وَيَطِيبُ لَهَا السَّيْرُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّمَنِّي: أَنَّ التَّمَنِّيَ يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ. وَالرَّجَاءَ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.